والحق أنه سرنى أن أذهب إلى بيت هذا السباك. فأنا من زمن طويل أريد أن أرى بنفسى اثر الكسب الكثير على أسلوب حياة أولئك الناس.

□□□

يقع البيت فى حارة ضيقة مقبضة لم أصل إلى باب البيت إلا متكئا على ذراع صاحبى بسبب فيض المجارى.. وسط المجارى أولاد كثيرون يلعبون ورجل يبيع حلوى، السلم محطم ولابد لك من الحذر الشديد لكى تصل إلى الدور الأول بسلام، الدور الرضى وهو دور المدخل يسكنه فران هو أخو صاحبى السباك، هذا الفران أنشأ فرنا يشوى السمك السمكة المشوية بتسعة جنيهات والطلبات بالعشرات استرحت لرائحة السمك المشوى لأنها تضيع رائحة المجارى، دخل هذا الرجل فى اليوم حوالى ٢٠٠ جنيه، وربحه يصل إلى سبعين جنيها أول ما فتح صاحبى باب شقته انشرح صدرى فقد كانت هناك صالة واسعة منيرة، وجدنا هناك كنبة فوقها على الحائط – آية قرانية كريمة مبروزة بشكل جميل. عرفت بعد ذلك أن الشقة كلها تتكون من هذه الصالة وغرفتين صغيرتين للنوم وحمام متر فى نصف ومطبخ مظلم متر فى متر.

عمل الرجل القهوة ثم جلس إلى.. كان يريد أن يستشيرنى فى أمر ولده الكبير إبراهيم الذى لا يريد أن يدرس أو يعمل بل يريد أن يكون مغنيا فى ملاهى شارع الهرم، لقد تعب معه الأب ولا يدرى ماذا يفعل؟ فالولد – كما تبينت فيما بعد – فسد تماما فهو يدخن ويسكر ويقضى الليالى خارج البيت، وعدته بأن أنظر فى الأمر إذا اتيحت لى الفرصة للقاء إبراهيم، من حسن الحظ أن إبراهيم لم يأت تلك الليلة. أما أنا فكنت أريد أن أعرف كيف يعيش أولئك الناس؟ وكيف يفكرون؟ فسالت الرجل عن مشكلة طابا.

فنظر إلى لحظات ثم قال: كل يوم يدوشوننا بحكاية طابا والحكومة لا عمل لها إلا الكلام الفارغ.